

نبذة عن الإمام الأعظم زيد بن علي (ع)

المجلس الزيدي الإسلامي

صنعاء - ١٤٣٧ هـ

محموط
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hef dallahageel@gmail.com



المجلس الإسلامي

الجمهورية اليمنية

البريد الإلكتروني zmagls5@gmail.com

الموقع الإلكتروني www.zaidiah.com

قناة التلغرام: https://telegram.me/zmagls



نبذة عن الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) ^(١)

نسبه:

هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكنيته "أبو الحسين". وهو الإمام الذي تنسب إليه الزيدية. جده الأعلى من قبل أمه: محمد بن عبد الله، رسول الله وخاتم النبيين. وجده الأعلى من قبل أبيه: الإمام علي بن أبي طالب فارس الإسلام، وباب مدينة العلم، وابن عم رسول الله، الذي قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي". وجده الأدنى: الحسين بن علي، أحد سيدي شباب أهل الجنة، وشهيد كربلاء.

أبوه: زين العابدين علي بن الحسين الذي قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم

(١) مادة هذه النبذة من المكتبة الزيدية الإلكترونية، مع تخريج وتصحيح وإضافة.

سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين" ^(١).

أمه: جارية سنديّة (باكستانية) اسمها "جيدا"، تحلّت بالدين والخلق والأدب والحياء. اشتراها المختار بن أبي عبيد الثقفي وقال: ما أرى أحداً أحقّ بك من علي بن الحسين (ع)؛ وذلك لما في زين العابدين من شرف النسب، وسعة العلم، والسورع، والفقّه في الدين. وعن زين العابدين علي بن الحسين (ع) أنه أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: "إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلتي هذه، فأخذ بيدي فأدخلني الجنة، فزوجني حوراء فواقعتهُ فعلقتُ، فصاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي، سمّ المولود منها زيدا). فما إن حلّ اليوم التالي حتى أرسل المختار بأم زيد" ^(٢). فلما وُلد زيد أخرجه علي بن الحسين وهو يقول: ﴿هَذَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ ^(٣).

(١) الموفق بالله، الشجري (ت ٤٣٠هـ)، الاعتبار وسلوة العارفين، ط ١، حديث رقم (٥١٢).

(٢) المرشد بالله، الشجري (ت ٤٧٩هـ)، الأمالي الإثنيينية، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٥٦٩؛ والمحلي، حميد الوادعي (ت ٦٥٢هـ)، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مكتبة بدر، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) يوسف: ١٠٠.

أولاده:

خلف الإمام زيد (ع) أربعة أولاد، وهم الإمام يحيى بن زيد - وجده أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية -، وعيسى، ومحمد، والحسين، وأعقب هؤلاء الثلاثة من ولده عليهم السلام، إلا يحيى فقد مات أولاده صغاراً.

مولده ودراسته:

ولد (ع) بالمدينة المنورة في سنة ٧٥هـ، وحين زُفَّت البشرية إلى زين العابدين قام فصلى ركعتين شكراً لله، ثم أخذ المصحف مستفتحاً لاختيار اسم مولده، فخرج في أول السطر قولُ الله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)، فأطبق المصحف، ثم قام وصلّى ركعات، ثم فتح المصحف، فخرج في أول السطر: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^(١)، ثم قام وركع، ثم أخذ المصحف وفتحه فخرج

(١) النساء: ٩٥.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

في أول سطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ
الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١). عندها أطبق زين العابدين
المصحف وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، عزيت في هذا المولود،
إنه زيد"^(٢).

ترعرع سلام الله عليه في ظل أبيه الإمام زين العابدين،
فأكب على دراسة علوم عصره بالمدينة المنورة، حين كانت
أنداك مركزاً لتفسير القرآن ولحركة علمية واسعة؛ إذ كان
الصحابة والتابعون يتعرّفون على أحكام القرآن ويتفهمون
معانيه بحسب ما وصل إليهم من العلم مع الإذلاء
باستنباطاتهم الخاصة. وهكذا اكتسب المعارف النبوية من
مصادرها النقية، فتوفرت له بذلك مقومات تربوية رفيعة،
وعرف معنى الفضيلة والتربية القويمة، ففتح الله عليه

(١) التوبة: ١١١.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٦٨.

بالعلم حتى قال أخوه محمد الباقر (ع): "لقد أوتي أخي علماً لدنياً، فاسألوه فإنه يعلم ما لا نعلم". وقال لمن سأله عنه: "سألتني عن رجل مليء إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدميه، وهو سيد أهل بيته"^(١). وعُرفت فيه صفات حُلُقِيَّة عظيمة، حتى صار شامة أهل زمانه وإمام أهل بيت النبوة في وقته عليهم السلام، ولانشداده إلى القرآن الكريم بشكل خاص، وعكوفه الطويل على معارفه العميقة - عُرف في وقته بـ(حليف القرآن)^(٢).

صفته:

كان (ع) أبيض اللون، أعين (واسع العين)، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقتى الأنف، أسود الرأس واللحية إلا أنه خالطه الشيب في عارضيه. وكان وسيماً، جميلاً وأديباً يُشَبَّه بأمر

(١) السياغي، الحسين بن أحمد (ت ١٢٢١هـ)، الروض النضير شرح

مجموع الفقه الكبير، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ٥٥.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيونية، ص ٦٠٣؛ والمحلي، الحقائق الوردية، ج ١، ص ٢٤٣.

المؤمنين (ع) في الفصاحة والبلاغة والبراعة حتى انتهت الفصاحة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي (ع)^(١). وله في الزهد والكرم ومحاسن الأخلاق ما ليس لغيره من أهل زمانه.

وشهد له بالبلاغة والفصاحة أهل الاختصاص في عصره، فقال الكميت بن زيد الأسدي - وهو من فحول الشعراء والفصحاء - : "ما رأيت قطّ أبلغ من زيد بن علي"^(٢). وقال خالد بن صفوان: "انتهت الفصاحة، والخطابة، والزهادة، والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي"^(٣). وأمر هشام بن عبد الملك واليه على العراق أن يمنع أهل الكوفة من السماع له، قائلاً: "إن له لساناً أقطع من ظبة السيف، وأحصد من شبا الأسننة، وأبلغ من السحر والكهانة"^(٤). ويروى أن

(١) المرشد بالله، المصدر السابق، ص ٥٧١؛ والمحلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المرشد بالله، المصدر السابق، ص ٦٠٣.

(٣) الهاروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت ٤٢٤هـ)، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، ط ٤، ٢٠١٤م، ص ٤٩.

(٤) القيرواني، إبراهيم الحصري (ت ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، ط دار الجليل، بيروت، ج ١، ص ١١٨.

سيبويه كان يحتج بأشعاره سلام الله عليه من أشعار^(١).

ومع القرآن كان لمنهجيته النبوية العلوية في التعامل السليم مع نصوص الشريعة، وبسبب فشو الكذب على جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أثر في عكوفه سلام الله عليه على القرآن ثلاث عشرة سنة، قال (ع): "خلوت بكتاب الله عز وجل أقرؤه وأتدبُّه ثلاث عشرة سنة"^(٢)، فأغناه القرآن الكريم عن كثير من المأثورات، ومنها كتاب أبيه الذي طلبه من أخيه الباقر سلام الله عليه، فلم يسرع إلى إجابته به، ولما أحب الباقر أن يختبره في هذا الكتاب الذي أغناه القرآن عنه، وجده لا يخرم منه حرفاً، فسأله عن مصدر هذه المعرفة، فقال: "استغنيت بكتاب الله"^(٣).

والإمام زيد هو الذي ألهم الأمة في وقت مبكر بوجوب عرض الرويات الحديثية على كتاب الله، كما أنه عرض كثيراً منها عليه، وعلى المعلوم من سنة الرسول صلى الله عليه وآله

(١) الشبلنجي، مؤمن بن حسن (ق ١٣هـ)، نور الأبصار في مناقب آل بيت

النبي المختار، مكتبة ومطبعة الباب الحلبي، ١٩٤٨م، ص ٢١٧.

(٢) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٥٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٠٥.

وسلم^(١). فانعكس جميع ذلك على وعيه بشعوره الفاعل بواجبه الجهادي، ودوره التصحيحي في مسار أمة جده، وفي وضعه المنهجية الصحيحة للتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما عبادته (ع) فغنية عن التعريف لما فيها من سموّ ورقّيّ. فقد عرف الله حق المعرفة بحيث أخذت منه كل مأخذ؛ فهو يسمع الشيء من ذكر الله فيُغمى عليه حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا، ويستمع إلى آيات الله بما فيها من ترغيب وترهيب فيميل كميل الشجرة في اليوم العاصف؛ قال أخوه عبد الله بن علي: "كان أخي زيد إذا قرأ القرآن بكى حتى نظنه سيموت"^(٢).

ويكفي وصف الإمام يحيى بن زيد لعبادة أبيه اليومية؛ إذ يقول: "رحم الله أبي كان أحد المتعبدين، قائم ليله صائم نهاره، كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جن الليل عليه نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله،

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيانية، ص ٦٠١.

(٢) المرشد بالله، المصدر السابق، ص ٦٠٣.

ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة، ثم يصلي الفجر، ثم يجلس للتعقيب (للدعاء والاستغفار حال الجلوس بعد الصلاة) حتى يرتفع النهار، ثم يذهب لقضاء حوائجه، فإذا كان قريب الزوال أتى وجلس في مصلاه واشتغل بالتسبيح والتحميد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صلى الظهر وجلس، ثم يصلي العصر، ثم يشتغل بالتعقيب ساعة ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلى المغرب والعشاء^(١).

... وأما عن شجاعته (ع) فيقول أبو معمر سعيد بن خثيم: "كنا في دار شبيب بن غرقد فسمعنا وقع حوافر خيل، فما منا من أحد إلا أرعب وارتعد، وظننا أنه يوسف بن عمر، ووالله ما رأيت رجلاً أربط جأشاً ولا أشد نفساً من زيد بن علي، ووالله ما قطع حديثه، ولا تغير وجهه، ولا حل حبوته. فلما مضت الخيل وجازتنا، وانفرج عنا ما كنا فيه، أقبل علينا بوجهه، وقال: يُرعب أحدكم الشيء يخاف أن يحلّ به،

(١) المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٦، ص ٢٠١.

والله ما خرجتُ لغرض الدنيا، ولا لجمع مالٍ، ولكن خرجت ابتغاء وجه الله والتقرب إليه، فمن كان الله همته ومن الله طلبته، فما يروعه شيء إذا نزل به" (١).

وما وقوفه أمام طغيان الأمويين إلا دليل هذه الشجاعة ودليل ركونه على الله، فقد نادى بشعار الحق عالياً، وحاجَّ الظالمين أولاً بالكلمة قبل أن يحاجَّهم بالسلاح حتى قتل شهيداً مازجاً الدم بالكلمة ليشتتعا مناديين بالحرية في وجه الظلم والاستبداد. وها هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة يصف إقدام زيد (ع): "لما أقبل عليه جنود أهل الشام من تلقاء الحيرة حمل عليهم كأنه الليث المغضب، فقتل (أو: قاتل) منهم أكثر من ألفي رجل بين الحيرة والكوفة" (٢).

... كان ذا حافظة عجيبة، فهو يحفظ الرسالة التي تلقى عليه ثم يعيدها من أولها ويحجب عما ورد فيها من السائل. وكان إذا كلمه إنسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيونية، ص ٥٩٥-٥٩٦.

(٢) الإمام عبدالله بن حمزة (ت ٦١٤هـ)، الشافي، مكتبة أهل البيت، ط ٢،

٢٠٠٩م، ج ١، ص ٥٩١.

مأثماً قال له: "يا عبد الله، أمسك أمسك، كفّ كفّ، إليك إليك، عليك بالنظر لنفسك" ^(١).

... كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقيل: إنه ما توسّد القرآن منذ احتلم حتى قُتِل، وهذا كناية عن قيام الليل واستكمال قراءة القرآن في صلاة التهجد حتى أثر السجود على جبينه.

... وتكفي شهادة الإمام أبي حنيفة النعمان حيث يقول: "شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمنه أفقه منه، ولا أعلم، ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين" ^(٢).

... كان نقش خاتمه (اصبر تؤجر، أصدق تنج) ^(٣).

حالة عصره:

لا يخفى على أحد حال الدولة الأموية وما آلت إليه من فساد وتهتك وضياع وبُعد عن التقوى، فلم يكن ملكها

(١) السياغي، الروض النضير، ج ١، ص ٥١.

(٢) المقرئزي، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٦٢٦.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، ط ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

العضوض جديرا بحمل اسم خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

كان الأمويون قد أفرغوا الإسلام من محتواه، ومرت فترات خطيرة تخلى فيها بعض خلفائهم وأمرائهم حتى عن التظاهر بالإسلام، وطلبوا للمال رَفَضَ ولاتهم قبول بعض رعية الدولة إعلان الإسلام، وطلبوا منهم أن يبقوا كفارا، بذريعة الخوف من نقص الخزينة العامة من موارد الجزية، فكانت كلمة عمر بن عبدالعزيز الشهيرة: "إنما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم هاديا، ولم يبعث جابيا".

وساءت الأوضاع الدينية والفكرية بشكل خطير، واصطنع الأمويون مذاهب وتيارات فكرية تناقض الإسلام المحمدي الأصل، فأسسوا مذهب الجبر، الداعي إلى الاستسلام والخنوع، ودعموا المرجئة، الذين يحرصون على تطبيع الأمة الثقافي والفكري مع أوضاع الحكام السيئة، وأشاعوا المرويات الخطيرة المنسوبة إلى الرسول كذبا وزيفا، كل ذلك حرصا منهم على تخدير الأمة المسلمة، وتدجينها، وإماتة المبادئ الإسلامية، وإحياء المآثر الجاهلية العصبوية.

في الجانب الاجتماعي، استأثروا بالسلطة، والثروة، واستصفوا الأموال العامة لصالحهم الأسي والفتوي الخاص، وفرزوا المجتمع أفقيا إلى طبقات، فكلما قربت طبقة من السلطة كلما حصلت على قسم أكبر من المال، كما قسموا المجتمع عموديا، إلى عرب وموالي (وهم من عدا الجنس العربي)، هؤلاء الموالي كانوا مواطنين لكن بغير حقوق، كما استولوا على أراضي بيت المال في البلاد المفتوحة وغيرها، وجبوا أموالها إلى صناديقهم الخاصة، وحرموا المعارضين لهم سياسيا وفكريا من كل حق، بل ومارسوا أبشع الجرائم وأفظعها بحق الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كما أشاعوا أجواء العصبية، والتناحر القبلي، والتشاحن الجاهلي بين مكونات المجتمع المسلم؛ الأمر الذي اضطر كثيرا من المصلحين إلى إعلان الثورات المسلحة عليهم.

عاصر الإمام زيد (ع) النصف الأخير من الحكم الأموي (٤٠-١٣٢هـ):

١- تولى الحكم أيام صبا الإمام زيد (ع) الوليد بن عبد الملك الذي عُرف بالترف وسفك الدماء. ولما كان الوليد

بالشام، وولاته الحجاج الثقفي بالعراق، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرّة بن شريك بمصر، قال عمر بن عبدالعزيز: "امتلاّت الأرض والله جوراً"^(١).

٢- خلفه أخوه سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) الذي كان أهون من سابقه، ولكنه مات تخمة، وعرف عنه الشراهة في الطعام حتى أنه كان يعرف بالخليفة الأكل^(٢).

٣- خلفه العادل عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) الذي دان بالعدل والتوحيد، وردّ مظالم بني أمية، ومنع لعن الإمام علي (ع) على المنابر. وكان يستلم نصائح زيد عن طريق الرسائل حتى قال عنه بكل إجلال وتقدير: "إن زيّداً لمن الفاضلين في قَيله ودينه"^(٣). غير أن الأمويين سرعان ما نفذوا انقلاباً ارتدادياً ضده

(١) السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٧٨.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط دار الفكر، ج ٣، ص ١٨٤-١٨٦؛ والسيوطي، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) المرشد بالله، الأمالي الإثنيية، ص ٥٨٦.

باغتياله بالسم^(١)، ليعودوا إلى سابق عهدهم.

٤- تولى الحكم بعده يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) الذي جعل دار الخلافة مرتعاً للهو والسُّكْر والطَّرَب، وكانت له جارية اسمها "حُبَابَة" قد شغفها حباً، رماها بحبة عنب فوقعت في حلقها فشرقت بها وماتت، فمات بعدها بيسير أسفاً عليها، ونبشها بعد الدفن ولم يدفنها حتى تغيّرت ريحها^(٢). وفي عهده بلغ الصراع القبلي أوجّه؛ الأمر الذي زعزع أركان الدولة الأموية ومزّقها، ومهدّ لثورة العباسيين. فقد استنزفت الثورات المسلحة التي قامت ضدهم أموالاً طائلة وقضت على عدد غير قليل من كبراء رجالهم.

٥- تولى الحكم بعده هشام بن عبد الملك، والإمام زيد حينذاك في الثلاثين من عمره. وقد تميّز عصره بسوء العلاقة بين الحكام والمحكومين، "وكان بخيلاً، حسوداً، فظاً، غليظاً، ظلوماً، شديد القسوة، بعيد الرحمة، طويل اللسان، وفشا

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٩٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٠٧-٢١١.

الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب
والبقر"^(١). حتى لقد تمنى أهل الشام أن يخلفه من
يرحمهم من ظلمه وسوء معالجته الإدارة التي دامت ما
يزيد على عشرين عامًا.

دعوة الإمام زيد (ع) إلى الثورة:

دعا الإمام زيد (ع) إلى الثورة على النظام الأموي الحاكم
ممثلاً في هشام لما اشتهر به من الجور عند غالبية أهل
عصره، فكان لا بدّ من تغيير الأوضاع الفاسدة، وإحياء
الشريعة وفق كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
وآله وسلم. وبعد أن بذل الإمام زيد جهوداً سلمية ودعوية
كثيرة لإصلاح أوضاع الأمة، أوجب عليه التعنت والاستبداد
الأموي أن يعيد للدولة الإسلامية طابعها الديني الأصيل؛
وإن باللجوء إلى قوة السلاح في سبيل إعادة الإسلام المحمدي
إلى واقع الأمة، ونشر العدالة الاجتماعية من باب الأمر

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، ط

بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ أن الأحوال في عهد الأمويين كانت أبعد ما تكون عن الإيمان؛ فقد كانت حياتهم مترفة، طابعها المجون والانغماس في ملذات الدنيا، وتعطيل الحدود، وشرب الخمر، وسوء الأخلاق، وقتل الأبرياء، وتعظيم السفهاء، وإنفاق أموال المسلمين في الملذات والشهوات؛ حتى عانى بيت المال من أزمة اقتصادية عادت على المجتمع الإسلامي بكل ضيقٍ وشظفٍ عيش.

وانتشرت الإساءة إلى مقدسات المسلمين وإسقاط هيبتها، وكذا الإساءة إلى أهل البيت عليهم السلام، حتى تعرّض للسباب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله، والحسنان عليهم السلام على منابر الجمعة؛ لذا نرى سعيد بن المسيب يقول في بني أمية: "ما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم"^(١).

وأخطر من هذا وذاك وضع الأحاديث بما يتناسب مع أهواء الحكام ونزواتهم؛ وقد عالج ذلك الإمام زيد ذلك بأن جمع

(١) ابن سعد، محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر، ط ١، ١٩٦٨م، ج ٥، ص ١٢٨.

الحديث ونقده، وطبق منهجية العرض على القرآن الكريم، وألّف أول كتاب في الحديث بيده وهو (المجموع الحديثي والفقهي).

في مقابل ذلك، كان الأمويون - في سبيل تعزيز موقفهم ومركزهم - يبثون ثقافة تقديس الحكام الأمويين، بل وتفضيلهم حتى على الرسل والأنبياء، ومنهم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(١)، وكان خالد القسري والي هشام على العراق يقول: "إن خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته"، يعني أن الخليفة هشاماً أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢)، وكان هناك اتجاه قوي لدى حكام الأمويين وولاتهم بتهوين مقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتقديس مقام خلفائهم.

وعن جابر الجعفي أنه قال لزيد حين أزمع على الخروج

بكلامٍ ذكره له محمد الباقر من صفة خروج الإمام زيد بن

(١) العاملي، مرتضى جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ط ٤، ١٩٩٥ م، ج ١، ص ١٦-١٨. وينظر: ابن عساكر، علي بن الحسن (٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨ م، ج ١٢، ص ١٥٨؛ وابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط مكتبة المعارف، ج ٩، ص ١٣١.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٧ م، ج ٤، ص ٤٧٨.

علي وأنه مقتول، فقال الإمام زيد: "أأسكن وقد خولف كتابُ الله تعالى، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت؟! وذلك أني شهدت هشامًا ورجل عنده يسبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وفي رواية: إن الرجل السابَّ كان يهوديًا - فقلت للسابِّ له: ويلك يا كافر! أما إنني لو تمكنت منك لاختطفت روحك وعجّلتك إلى النار". فقال هشام: مه عن جليسنا يا زيد، فثار الإمام زيد (ع) على كل هذه الأقاويل التي لا يقبلها مؤمن ولا يتصورها وقال (ع): "فوالله لو لم يكن إلا أنا ويحيى ابني لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى" ^(١) - أي على هشام.

وقد تحمّل الإمام زيد من هشام الشيء الكثير من التلاعب والعنت والحرَج، وساءه كثيرا تفلت الناس عن الدين والقيم الأصيلة، بتشجيع الدولة الأموية؛ وهو (ع) القائل: "يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب، أفذهبت الأحساب، فوالله

(١) الهاروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت ٤٢٤هـ)، تيسير الطالب في أمالي أبي

طالب، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٦٥؛ والسياعي، الروض النضير، ج ١، ص ٧٢.

إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم" ^(١).

ومن أمثال العنت والغرسة والحسد الأموي لأهل الفضل؛ أنه دخل زيد بن علي (ع) على هشام بن عبد الملك وقد جمع له هشام الشاميين فلما دخل الإمام زيد سَلَّمَ، فتجاهله هشام ومن في مجلسه، فانبرى قائلاً: السلام عليك أيها الأحول، وإنك لجدير بهذا الاسم! فاستشاط هشام غضباً وقال: أنت زيد المؤمّل للخلافة، ما أنت والخلافة وأنت ابن أمة؟!

فقال: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن حتم الغايات، ولا أعرف أحداً أحبّ عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة، وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم عند الله من الخلافة، ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله تعالى أبا للعرب، وأبا لخير النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كانت الأمهات تقصر عن حتم الغايات لم يبعثه الله نبياً، وما تقصيرك برجل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبوه علي بن أبي طالب!!

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ٤، ص ١٩٥.

ثم أردف قائلاً: اتق الله يا هشام! فلم يتمالك هشام نفسه، وقال في غلظة: أو مثلك يأمر مثلي بتقوى الله؟!

قال زيد: إن الله لم يرفع أحداً فوق أن يُؤمر بتقوى الله، ولم يضع أحداً دون أن يأمر بتقوى الله! فقال هشام: هذا تحقيق لما رُفِعَ إليَّ عنك، ومن أمرك أن تضع نفسك في غير موضعها وتراها فوق مكانها؟ فترفع على نفسك واعرف قدرك، ولا تشاور سلطانك ولا تخالف على إمامك.

فقال الإمام زيد بكل تحدٍّ: مَنْ وَضَعَ نفسه في غير موضعها أثم بربه، ومن رفع نفسه عن مكانها خسر نفسه، ومن لم يعرف قدره ضل عن سبيل ربه، ومن شاور سلطانه وخالف إمامه هلك، أفندري يا هشام مَنْ ذلك؟ ذلك من عصى ربه، وتكبر على خالقه، وتسمى باسم ليس له، وأما الذي أمرك بتقوى الله فقد أدنى إلى الله النصيحة فيك، وذلك على رُشدك!

فوثب هشام من مجلسه، وقام قائلاً: أخرجوه من مجلسي، ولا يبيتنَّ في عسكري.

فقال له زيد: لا تجدني إلا حيث تكره!

وخرج الإمام زيد وهو يقول كلمته الشهيرة: "والله ما

كره قوم قط حَرَّ السيفِ إلا ذلوا "، وفي رواية: "من
اسْتَشَعَرَ حُبَّ البقاء اسْتَدْتَرَ الذُّلَّ إلى الفناء".

فقال هشام لأعوانه مؤكداً الحقيقة التي لا بد منها: أستم
ترزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا؟! هيهات ما ذهب قوم
هذا خَلْفُهُم^(١)!

خط سير المعركة:

اتخذت دعوته عليه السلام منحىً سرياً مغايراً لمنحى
الإمام الحسين (ع)، فقد عرف أن إعلان الدعوة قد تجعل
بني أمية يترصدون له فيحملون أنصاره على خذلانه كما
فعلوا مع جده الحسين (ع).

وكان من سبيل دعوته أن يبعث الرسل لمن يريدهم في
صفه ثم يذهب لمواجهتهم، أو أنه كان يرسل رسله إليهم
دون أن يلتقيهم شخصياً، فكان اثنان من دعاة الإمام
زيد (ع) يُدخلان الناس عليه وعليهم براقع، لا يعرفون

(١) الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٦١-١٦٢؛ والمسعودي، مروج الذهب، ج ٣،
ص ٢١٨؛ والجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين،
ط ١، ١٩٦٨م، ص ١٦٤؛ والمقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٦٣٠.

موضعه، فيأتیان بهم من مكان لا يبصرون شيئاً حتى يدخلوا فيه فيبايعونه، فأقام بالكوفة ثلاثة عشر شهراً.

"وكان إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، ورد المظالم، وإقفال الحجرة^(١)، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لتفین لنا، ولتنصحناً في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة"^(٢).

فكانت عناصر دعوته كالتالي:

١- "الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه"; لذلك هبّ رجال العلم والفقهاء لنصرته، وفي مقدمتهم أبو حنيفة النعمان الذي أرسل إليه في إحدى المرات بثلاثين ألف

(١) التجمير: حبس المقاتلين في الثغور كأحد أنواع العقوبة التي استخدمتها السلطة الأموية بحق الشعب المسلم.

٢ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٤٣٤. ويقارن بالطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ١٩٩.

درهم^(١)؛ ولاحتراف ومشاركة العلماء في ثورته سميت
(ثورة العلماء).

٢- "وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء
المحرومين"؛ وهذا ما دفع العديد من مختلف فئات
المجتمع ممن أصابهم الضرر للبيعة لزيد (ع)، وهذا ما
يشير إلى أهداف الثورة السياسية، والاجتماعية.

٣- "وقسم الفياء بين أهله وردّ المظالم"؛ فهناك استتثار
جائر للمال من قبل الحزب الأموي الحاكم، وترك
المسلمين يعانون الفقر والحرمان، كما كانت هناك
مظالم شائعة طالت كثيرا من أبناء المجتمع، ولهذا
نجدها تنعكس على برنامج ثورة الإمام زيد وغيره من
برامج ثورات ذلك العصر.

٤- "ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب"؛ وهذا
ما دعا محبي أهل بيت رسول الله لمناصرته،
باعتبارهم أعلام الأمة وقادتها إلى الله تعالى.

١ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٤٠-١٤١؛ والمحلي، الحقائق الوردية،

وبعد توضيح دوافع الثورة كان يسألهم السؤال التالي:
 "أتبايعوننا على هذا؟" فإذا قالوا: نعم، وضع يد الرجل على يده
 فيقول: "عليك عهد الله وميثاقه ودمته ودمته رسوله، لتفین
 ببيعتي، ولتقاتلنّ معي عدونا، ولتنصحنّ لنا في السرّ والعلانية".
 فإذا قال: نعم، مسح على يده ثم قال: "اللهم اشهد".

وقيل لرفيق دربه في دراساته- الإمام جعفر الصادق (ع)
 عن الرافضة إنهم يبرؤون من عمك زيد، فقال: "برئ الله
 ممن برئ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في
 دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة
 مثله"^(١). ومن هنا يظهر مدى قوة العلاقة التي ربطت زيـداً
 بجعفر، بعكس ما ادّعاه البعض أن سبب عدم اتّباع جعفر
 زيـداً إنما كان الحسد لا سواه. وقد استفسرت الشيعة جعفرًا
 في مبايعتها لزيد، فقال: "نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا
 وسيدنا وخيرنا"^(٢).

وقد أراد جعفر (ع) الخروج مع زيد (ع) لَمَّا خرج المرة

(١) السياغي، الروض النضير، ج ١، ص ٥٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢٠٤.

الأخيرة من المدينة إلى الكوفة، وقال له: "أنا معك يا عم". فقال له الإمام زيد: "أما علمت يا ابن أخي أن قائمنا لقاعدنا، وأن قاعدنا لقائمنا، فإذا خرجت أنا وأنت فمن يخلفنا في حرمانا؟"^(١). فتخلف جعفر بأمر عمه زيد، ودفع بولديه عبد الله ومحمد معه. وقال: "من قُتِلَ مع عمي زيد كَمَنْ قُتِلَ مع الحسين، ومن قتل مع الحسين كمن قتل مع علي بن أبي طالب، ومن قتل مع علي كمن قتل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم"^(٢).

وهكذا انضم لبيعة زيد في ديوانه الآلاف من أهل الكوفة فقط دون سواها، وحدد يوم الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ بداية لها وذلك بعد أن أقام في الكوفة أربعة عشر شهرًا - منها شهران في البصرة - يرتب للدعوة دون علم والي الكوفة يوسف بن عمر بذلك. إلا أن أحد الأمويين

(١) الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ)، مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق، (كتاب فيه معرفة الله)، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط ١، ٢٠٠١، ص ٦١.

(٢) الإمام عبدالله بن حمزة (ت ٦١٤هـ)، العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط ١، ٢٠٠١، ص ٢٦٩.

استطاع أن يسمع شيئاً عن التمهيد للثورة وهو في الكوفة، فأخبر هشام بن عبد الملك بذلك، فأرسل يوسف جاسوساً على أنه موالٍ لزيد، ومع ذلك باءت جميع محاولاته للعثور على زيد بالفشل؛ لأن زيدا (ع) كان سريع التنقل والاختفاء.

وكان نصر بن خزيمة من أهم أعوان الإمام زيد وأشدهم حماساً وإخلاصاً، تماماً كمالك الأشر في أصحاب الإمام علي (ع)، فأعدّ الجنود المحاربين مع زيد وبحث فيهم الحماس، فبلغت إحصاءات المبايعين آلاف المقاتلين؛ الأمر الذي يشير إلى وجود حالة ثورية عارمة في الأمة.

كانت خطة الإمام زيد تهدف إلى الهجوم دفعة واحدة من قبل جميع الأنصار في جميع الأمصار. غير أن هشاماً كان يتربص بموعد ثورة زيد (ع) ويعدّ العدة لذلك. ولما انكشفت مواعيد الثورة، اضطر الإمام زيد إلى التعجيل بإعلانها في الكوفة قبل الوعد المضروب للأمصار، فتغير موعدها من أول ليلة من صفر ١٢٢هـ إلى ٢٢ محرم ١٢٢هـ^(١).

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٣٢.

استعد الأمويون له بأن نشر يوسف بن عمر الشرطة في أزقة الكوفة، وأرسل من يتتبع أثر الإمام زيد، وجمع أهل الكوفة في المسجد وأعلن: "أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحبة المسجد فقد برئت منه الذمة، اتتوا المسجد الأعظم".

وفي الليلة الموعودة - وكانت شديدة البرد - أوقد أصحاب زيد (ع) النيران إعلاناً للثورة، وعلت صيحاتهم بالنداء: "يا منصور أمت" إيذاناً ببدء الهجوم. فبقوا طوال الليل يحاولون جمع الأنصار إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل.

فأصبح الإمام زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة فقط مائتان وثمانية عشر (٢١٨) من الرجال، فقال زيد بن علي (ع): "سبحان الله! فأين الناس؟" قيل: هم محصورون في المسجد. فقال: "لا والله، ما هذا لمن بايعنا بعذر"^(١).

وقد بعث زيد بأنصاره لرفع الحصار عن أهل المسجد وطمأنة أهل الكوفة وليحرّض أهل المسجد على القتال، وتوجه مع أنصاره إلى المسجد لفك الحصار. وفي طريقهم إلى المسجد اشتبك مع الأمويين وانتصر عليهم، ثم تقدموا إلى

(١) المصدر السابق، ص ١٣٤.

جوار المسجد فنادى أصحابه بشعاره وأدخلوا الرايات من نوافذ المسجد، ونادى نصر ابن خزيمة: "يا أهل الكوفة! أخرجوا من الذل إلى العز ومن الضلال إلى الهدى، أخرجوا إلى خير الدنيا والآخرة فإنكم لستم على واحد منها"، إلا أنهم لم يحركوا ساكنًا، ومكثوا في المسجد بحجة الحصار^(١).

وقف زيد (ع) على باب الجسر هو وأصحابه بعد أن أمرهم الإمام زيد أن ينادوا: من ألقى سلاحه فهو آمن، وجاء أهل الشام واقتتلوا مع أهل الكوفة قتالاً شديداً، فقال الإمام زيد لأصحابه: "انصروني على أهل الشام، فوالله لا ينصرني رجل عليهم اليوم إلا أخذت بيده حتى أدخله الجنة".

وقد خطب زيد (ع) أصحابه حين ظهر قائلاً: "الحمد لله الذي منّ علينا بالبصيرة، وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه، وصدق به الصادق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الطاهرين من عترته وأسرته، والمنتخبين من أهل بيته وأهل

(١) المصدر السابق، ص ١٣٥.

ولايته. أيها الناس! العجل العجل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، فوراءكم طالب لا يفوته هارب إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته، واستجروا بثوابه من عقابه، فقد أسمعكم وبصركم ودعاكم إليه وأنذركم، وأنتم اليوم حجة على من بعدكم. إن الله تعالى يقول: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)، ﴿وَلَا تَكُونُوا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

عباد الله! إنا ندعوكم ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤)، إن الله دمر قوماً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الأنفال: ٢١.

(٣) آل عمران: ١٠٥.

(٤) آل عمران: ٦٤.

عباد الله! أكأنّ الدنيا إذا انقطعت وانقضت لم تكن،
 وكأن ما هو كائن قد نزل، وكأن ما هو زائل عنا قد رحل،
 فسارعوا في الخيرات، واكتسبوا المعروف تكونوا من الله
 بسبيل، فإنه من سارع في الشر واكتسب المنكر، فإنه ليس
 من الله في شيء.

أنا اليوم أتكم وتسمعون ولا تبصرون، وغداً بين أظهركم
 هامة فتندمون، ولكن الله ينصرنى إذا ردني إليه، وهو الحاكم
 بيننا وبين قومنا بالحق، فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير
 المفرقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأتاب إلى سبيلنا،
 وجاهد بنفسه نفسه ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق،
 فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن ردّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا
 واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية، فالله من أولئك
 بريء، وهو يحكم بيننا وبينهم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلئن يستجيب لكم
 رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب
 وفضة .. عباد الله! لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن
 سبيل الله، ولكن البصيرة .. البصيرة ثم القتال، فإن الله

يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به علي حق، إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق. عباد الله البصيرة .. البصيرة" ^(١).

وكان من أهم مقاصد الإمام زيد توضيح أهداف

الثورة، لأنه كان يدرك أن الكثير من الأنصار إنما خرجوا لتصفية حساباتهم مع الأمويين والاستئناس بمرافقة الإمام زيد (ع) وأهل البيت - وهو أمر يستحق الجهاد من أجله، ولكن أن يكون ذلك هدفاً فذلك مما لم يرتضيه لهم؛ لأنهم (ع) إنما هم وسيلة ليس إلا- لذلك دعاهم لأن يفصلوا بين الهدف الأسمى من الثورة وبين مشاعرهم المستفيضة بالقول: "لا تقولوا: خرجنا غضباً لكم، ولكن قولوا: خرجنا غضباً لله ودينه" ^(٢)، ودعاهم أن يجاهدوا بنية صادقة ملؤها اليقين قائلاً: "عباد الله! لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة .. البصيرة ثم القتال .." ^(٣).

(١) المحلي، الحقائق الوردية، ج١، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٥.

(٣) المحلي، الحقائق الوردية، ج١، ص٢٤٨.

... ولما خفقت رايات زيد (ع)، رفع يديه إلى السماء فقال:
 "الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيت
 محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم ولم أمر في أمته بالمعروف،
 ولم أنهم عن المنكر. والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُجِّجت لي نارٌ ثم
 قُذِفْتُ فيها، ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى. والله لا
 ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي
 وفاطمة والحسن والحسين. ويحكم! أما ترون هذا القرآن
 بين أظهركم جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن
 بنوه؟ يا معاشر الفقهاء، ويا أهل الحجا، أنا حجة الله
 عليكم؛ هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل
 بكتاب الله ونقسم فيئكم بالسوية، فسلوني عن معالم
 دينكم، فإن لم أنبئكم عما سألتم فولّوا من شئتم ممن علمتم
 أنه أعلم مني. والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم
 علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وعيبة (مستودع) علمه، وإني لأعلم أهل بيتي. والله ما كذبت
 كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرّمًا لله

منذ عرفت أن الله يؤاخذني. هاؤم (هلموا) فسلوني!"^(١).

ثم قال: "اللهم لك خرجت، وإياك أردت، ورضوانك طلبت، ولعدوك نصبت، فانتصر لنفسك ولدينك ولكتابك ولنبيك ولأهل بيتك ولأولياتك من المؤمنين، اللهم هذا الجهد مني وأنت المستعان"^(٢).

وكان الإمام زيد (ع) يردد بعد أن نذر نفسه لله: "والله لو علمت أن رضا الله عز وجل في أن أقدح نارًا بيدي حتى إذا اضطرمت رميت بنفسي فيها لفعلت، لكن ما أعلم شيئًا أرضى لله عز وجل عني من جهاد بني أمية"^(٣). وكان يقول: "والله لو ددت أن يدي ملصقة بالثرى فأقع إلى الأرض أو حيث أقع، فأتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بي أمة محمد"^(٤).

وأقبلت جنود الشام من تلقاء الحيرة، فحمل عليهم (ع) كأنه الليث المغضب، فقتل منهم عددا كبيرا بين الحيرة

(١) الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) أبو العباس الحسني، المصابيح في السيرة، ص ٣٥٥.

(٣) الهاروني، تيسير المطالب، ص ١٦٦.

(٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٢٦ - ١٢٧.

والكوفة، وأقام بين الحيرة والكوفة، ودخلت جيوش الشام الكوفة، ففرّق أصحابه فرقتين: فرقة بإزاء أهل الكوفة، وفرقة بإزاء أهل الحيرة. ولم يزل أهل الكوفة يخرج الواحد منهم إلى أخيه، والمرأة إلى زوجها، والبنت إلى أبيها، والصديق إلى صديقه فيبكي عليه حتى يرده، فأمسى عليه السلام وقد رُقّ عسكره^(١)، وخذله كثير ممن كان معه.

وخلال أيام المواجهة؛ كان جنود الإمام زيد القليلون

يتناقصون وجنود الأمويين يتكاثرون، فالتفت الإمام زيد إلى نصر بن خزيمة وقال له: يا نصر أخاف أهل الكوفة أن يكونوا قد فعلوها حسينية! فقال نصر: جعلني الله فداك! أما أنا فوالله لأضربن بسيفي بين يديك حتى أموت!!

استشهاده (ع):

حارب الإمام زيد وأصحابه الأمويين حرباً ضروساً وأبلوا بلاءً حسناً، فخاف جيش العدو واختبأ خلف الجدران ليمطر جيش زيد (ع) بوابل من الأسهم، حتى سُمع صوت

(١) الإمام عبدالله بن حمزة: الشافي، ج ١، ص ٥٩١-٥٩٢.

ينادي: "الشهادة... الشهادة، الحمد لله الذي رزقنيها"^(١).

كان ذلك هو الإمام زيد يذيع نبأ فوزه بإحدى الحسينيين، وهي الشهادة، كما أذاعها من قبله جده الكرار صلوات الله عليه، حين قال: (فزت ورب الكعبة). أصيب الإمام زيد في اليوم الخامس والعشرين من شهر المحرم بسهم في جانب من جبهته اليسرى، فنزل السهم في الدماغ.

جاء يحيى بن زيد إلى أبيه، فأكب عليه، وأخذ يمسح الدم عن وجه أبيه ثم قال لأبيه: "أبشر يا أبتاه، ترد على رسول الله وعلي وفاطمة وخديجة والحسن والحسين وهم عنك راضون". فقال (ع): "صدقت يا بني، فأني شيء تريد أن تصنع؟" قال يحيى: "أجاهدهم ولو لم أجد إلا نفسي". فقال زيد: "نعم يا بني جاهدهم، فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل، وإن قتلاك في الجنة وقتلاهم في النار"^(٢). وهكذا يوصي السلف السابق خلفه اللاحق بالمضي

(١) أبو العباس الحسني، المصابيح في السيرة، ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٨؛ والإمام عبدالله بن حمزة، العقد الثمين،

على خط الثورة، ومسار الشهادة في سبيل الله تعالى.

وحين جاء الطبيب لينتزع السهم قال له: إنك إن نزعته من رأسك متّ. قال: الموت أيسر علي مما أنا فيه. فانتزعه فكانت فيه نفسه سلام الله عليه.

وهكذا رحل الإمام زيد (ع) - وهو لا يتجاوز الثانية والأربعين من عمره عام ١٢٢هـ على أغلب الروايات - فائزاً بالشهادة وقد أراح ضميره حين رفع راية الجهاد عالية بعد أن صبغها دم الشهداء ليصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

عطاء واستمرار

الإسلام مدينٌ لدماء هؤلاء الأعلام في حفظ روحه، وقيمه، ومبادئه، ومثله، وتطبيقاته، ولولا حركة الجهاد التي تعاقبوا عليها لكان الطغاة والظالمون والكفار المعتدون قد أجهزوا

(١) التوبة: ١١١.

على الإسلام، وأبادوه انحرافا وتحريفا، وتكديبا، واستهزاءً. لكن الله حفظ هذا الدين الذي شرعه لتكريم الإنسان، وأعزّه بهؤلاء القادة الثوار الأعلام، فوصل إلينا غضا طريا؛ ولهذا كانت منزلتهم تلك المنزلة العظيمة عند الله تعالى.

ولا يحسب المرء منا أن الله غافل عما فعل المبطلون، فهذا هو الإمام علي بن أبي طالب (ع) يقول: "لما أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الحسين بن علي وصلب ابنه زيد (ع) قلت: يا رسول الله، أترضى أن يُقتل ولدك؟ قال: يا علي، أترضى بحكم الله فيّ وفي ولدي، ولي دعوتان: أما دعوة فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا على الله عزّ وجل وعرضت عليّ أعمالهم. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: يا علي أمّنْ على دعائي: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، وسلّط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي. قال: فأتاني جبريل وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمّن فقال: قد أجيبت دعوتكما"^(١).

(١) المرشد بالله، الأمالي الإثنيينية، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

بشرى من رسول الله

روى الإمام المرشد بالله^١ بسنده عن علي بن أبي طالب -
 عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- قَالَ: يَخْرُجُ مِنِّي بِظَهْرِ الْكُوفَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ:
 زَيْدٌ فِي أَبِيهِ سُلْطَانٌ -وَالْأَبِيَّةُ: الْمَلِكُ- لَمْ يَسْبِقْهُ الْأَوْلُونَ، وَلَمْ
 يُدْرِكْهُ الْآخِرُونَ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِ مَا عَمِلَهُ، يَخْرُجُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُمُ الطَّوَامِيرُ، ثُمَّ تَخَطُّوا أَعْنَاقَ
 الْخَلَائِقِ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ خَلَفُ الْخَلْفِ
 وَدُعَاةُ الْحَقِّ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -
 وَيَقُولُ: (قَدْ عَمِلْتُمْ بِمَا أَمَرْتُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ).

فهنيئاً لكم أيها المجاهدون هذه المنقبة العظيمة، وإنها
 لبشرى عظيمة لكل ثائر مجاهد، تحرك بفاعلية مع أعلام
 الهدى، وعمل بمثل ما عمله إمام الأحرار الإمام زيد بن علي
 سلام الله عليه.

(١) المصدر السابق، ص ٥٧٧.

دفنه (ع):

تساءل أصحابه عن مكان دفنه ومواراته، وارتأوا دفنه في العباسية وإجراء الماء عليه. ولأنه كان معهم عبد سندي أفشى سر قبر زيد (ع) إلى الأمويين ودلّهم على الموضع بعد أن أُعلن في الشوارع عن جائزة مغرية لمن يدل على موضع دفنه، فما كان منهم إلا أن استخرجوه على بعير قد شدّ بالحبال، فألقى جسده الشريف من البعير على باب القصر فخرّ كأنه جبل. فأمر به فصلب بالكناسة (مزبلة الكوفة)، ومكث مصلوبًا عاريًا - والعنكبوت تنسج خيوطها لتستر عورته كلما أزيحت - إلى أيام الوليد بن يزيد، فأمر يوسف بن عمر بإنزاله وفصل رأسه وحرقه وذروه في الفرات^(١)، وهو يقول: والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم^(٢).

لم يكفهم قتله حتى تعاقبه نيش وصلب وإحراق وتغريق^(٣)

وهم بهذا إنما يكشفون أصول ما يمارسه أشباههم

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ٢٥٦.

(٣) للصاحب بن عبّاد.

اليوم، ويرتكبه تلامذتهم الدواعش في واقعنا، من منكرات وفضائح بحق خصومهم.

أما رأسه الشريف فقد أمر هشام أن يطاف به في البلدان حتى انتهوا به إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهناك ضجّت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم، وأمر أهل المدينة أن يتبرؤوا من علي وزيد بن علي عليهما السلام. وأخيرًا أُخذ الرأس إلى الجامع الأعظم في مصر، ومنه أخذ سرًا ودفن هناك، في القاهرة اليوم، وله مقام ومسجد يسمى اليوم مسجد زين العابدين^(١).

مسمار في نعش ملكهم

بعد قتل زيد بن علي (ع) انتقض ملك بني أمية وتلاشى إلى أن أزالهم الله ببني العباس. قال اليعقوبي: "ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم وكثر من يأتهم ويميل معهم، وجعلوا يذكّرون الناس بأفعال بني أمية وما نالوا من آل رسول الله

(١) المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٦٢٥.

فلم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر" (١).

وبعد سنوات من استشهاد زيد (ع) خرج الإمام يحيى بن زيد في خراسان يواصل مسيرة أبيه بأهدافها السامية وهو يقول:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد من أحب الحياة عاش ذليلاً
كن كزيد فأنت مهجة زيد واتخذ في الجنان ظلاً ظليلاً

آثار الإمام زيد (ع) العلمية:

مثلما فتح الإمام زيد باب الجهاد، فقد خلف ثروة علمية رائدة، حيث تعتبر مصنفاته (ع) من أوائل ما كتب في تاريخ الثقافة الإسلامية، ومن تلك الكتب والرسائل:

- ١ - مجموع الإمام زيد الفقهي والحديثي، وهو مطبوع باسم "مسند الإمام زيد".
- ٢ - تفسير غريب القرآن، طبع مؤخراً بتحقيق الدكتور حسن محمد الحكيم.

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٦.

- ٣ - مناسك الحج والعمرة، طبع في بغداد.
- ٤ - مجموع رسائل وكتب الإمام زيد، (طبع)، ويحتوي:
- (١) رسالة الإيمان، وتشتمل على شرح لمعنى الإيمان والكلام على عصاة أهل القبلة.
- (٢) رسالة الصفوة، وتشتمل على تعريف صفوة الله من خلقه والكلام عن أهل البيت وأن الله اصطفاهم لهداية الناس.
- (٣) رسالة مدح القلة وذم الكثرة، وتشتمل على مناظرة جرت بينه وبين أهل الشام في القلة والكثرة، وجمع فيها كثيراً من آيات القرآن الدالة على مدح القلة وذم الكثرة.
- (٤) رسالة تثبيت الوصية، وتتضمن استدلالات على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي عليه السلام بالخلافة من بعده.
- (٥) رسالة تثبيت الإمامة، وتتضمن استدلالات على أن علياً عليه السلام كان أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- (٦) رسالة إلى علماء الأمة، وهي الرسالة التي وجهها إلى العلماء

يدعوهم فيها إلى القيام بمسئولياتهم وتأييده في ثورته.

(٧) رسالة الرد على المجبرة، وهي عبارة عن بضع صفحات أوضح فيها موقفه من القدر، وضمَّنَها ردًّا على غلاة المجبرة.

(٨) رسالة الحقوق، وهي عبارة عن نصائح وتعاليم حُلُقِيَّةٍ وجهها إلى أصحابه ومن بلغته من المسلمين.

(٩) مناظرة لأهل الشام في مقتل عثمان والقلة والكثرة.

(١٠) الرسالة المدنية، وهي عبارة عن جوابات أسئلة وردت إليه من المدينة.

(١١) مُجَمَّع يشتمل على بعض مناظراته وأجوبته وخطبه وأشعاره ورسائله وكلماته القصيرة.

(١٢) الرسالة الشامية، وتتضمن إجابات على استفسارات لأحد أصحاب الإمام زيد بعث بها من الشام.

(١٣) جواب على واصل بن عطاء في الإمامة.

(١٤) مجموعة من الأشعار والأدعية المنسوبة إليه^(١).

(١) مجموع رسائل الإمام زيد - مطبوع -.

مُحَبَّاتُ الْكِتَابِ

- نبذة عن الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) ٥
- نسبه: ٥
- أولاده: ٧
- مولده ودراسته: ٧
- صفتة: ٩
- حالة عصره: ١٥
- دعوة الإمام زيد (ع) إلى الثورة: ٢٠
- خط سير المعركة: ٢٦
- فكانت عناصر دعوته كالتالي: ٢٧
- استشهاده (ع): ٣٩
- عطاء واستمرار ٤١
- بشرى من رسول الله ٤٣
- دفنه (ع): ٤٤
- مسار في نعش ملكهم ٤٥
- آثار الإمام زيد (ع) العلمية: ٤٦